دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q2].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

الدولة العثمانيّة وسياقها الأوروبي
من خلال وثيقة مخطوطة (١٨٥٩)

د. محمد البشير رازقي
أستاذ مساعد في التاريخ
المعهد العالي للعلوم الإنسانية
جامعة جندوبة – الجمهورية التونسية

مُلَخّص

حُرّرت الوثيقة قبل سنة ١٨٥٩ ، أي قبل توحيد إيطاليا . وهي مخطوطة ومكوّنة من ٤٢ صفحة، وتشتمل كل صفحة تقريبًا على ١٤ سطرًا . وقد حرّرها سياسي يُسمّى تشيهاتشاف Chihatchef، لم تبرز الوثيقة جنسيّته والمرجّح أنّها فرنسيّة . وقد انقسم النصّ إلى شاغلين أساسيّين وهما : مصير إيطاليا ومآل الدولة العثمانيّة . بيّن كاتب الوثيقة أن الدولة العثمانيّة وخاصّةً إيطاليا اشتملتا على ما هو غير متوفّر عند غيرهما وهو التّاريخ، لكن مع تفضيل واضح وجليّ لإيطاليا ، فحتّى بيزنطة وهي المدينة الأساس التي بُنيت عليها الدولة العثمانيّة كانت تابعة لإيطاليا في فترات تاريخيّة سابقة . وقد قدّمت لنا الوثيقة مسالك مهمّة لفهم روح العصر الأوروبي سنة ١٨٥٩ ، حيث اعتمد أساسًا على ركائز أساسيّة وهي: القوميّة أي بداية التخلّص من نظم الحكم الامبراطوريّة . والصور النمطيّة والوصوم التحقيريّة وهنا تبرز ثنائيّة شرق/غرب مع نظريّات مهمّة من قبيل عبئ الرجل الأبيض أو الانسداد الحضاري البديهي لدى المسلمين. وثالثًا الوعي بأهمّية فصل الدّين عن السياسة سواء من خلال الحديث عن الدولة العثمانيّة وأسباب تأخّرها أو عبر الإشارة للبابا وعلاقته بمشروع توحيد إيطاليا .

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٣ مايو ٢٠٢٥
تاريخ قبـول النشـر: ٢٦ يونيو ٢٠٢٥

كلمات مفتاحية:

الدولة العثمانية؛ ١٨٥٩؛ أوروبا؛ الصور النمطية؛ القومية؛ التاريخ الحديث والمعاصر

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.388211.1231

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

محمد البشير رازقي، "الدولة العثمانية وسياقها الأوروبي من خلال وثيقة مخطوطة (١٨٥٩)".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد الثاني والسبعون؛ أكتوبر ٢٠٢٥. ص ١١٩ – ١٣٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Corresponding author: rezgui.medd@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورية كَان التَّارِيْخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدّمَةٌ

حُرّرت الوثيقة قبل سنة ١٨٥٩، أي قبل توحيد إيطاليا. وهي مخطوطة ومكوّنة من ٤٢ صفحة، وتشتمل كل صفحة تقريبا على ١٤ سطرا. وقد حرّرها سياسي يُسمّى تشيهاتشاف Chihatchef، لم تبرز الوثيقة جنسيّته والمرجّح أنّها فرنسيّة. وقد انقسم النصّ إلى شاغلين أساسيّين وهما: مصير إيطاليا ومآل الدولة العثمانيّة. بيّن كاتب الوثيقة أن الدولة العثمانيّة وخاصّة إيطاليا اشتملتا على ما هو غير متوفّر عند غيرهما وهو التّاريخ، لكن مع تفضيل واضح وجليّ لإيطاليا، فحتّى بيزنطة وهي المدينة الأساس التي بُنيت عليها الدولة العثمانيّة كانت تابعة لإيطاليا في فترات تاريخيّة سابقة.

مثّلت أهميّة هذه الحضارات ميزة ونقمة في الآن ذاته، فهي متميّزة بين غيرها من الأمم وأيضًا مطمعًا للجميع، وخاصّة وجهة أساسيّة للمهاجرين، ولهذا "دخل في المملكتين جنوس لا يحبّون الشعوب التي وقعوا تحت نيرهم". يُراهن الكاتب هنا على نظريّة مهمّة وهي دور المهاجرين في تقليص عصبيّة الحضارة وع توظيف نظريّة القوميّة الناشئة خلال القرن ١٩ حيث عُبّر عنها بعبارة "الجنوس" أي الأعراق وسكّ منها فيما بعد عبارة الجنسيّة. فهذه الفئات الاجتماعيّة أرادت الاستفادة من الحضارة الإيطالية أو العثمانيّة مع كرههم لهما.

تتقاسم أيضًا إيطاليا والدولة العثمانيّة ميزة أخرى وهي حيازة الأولى للإرث الإسلامي والثانية للإرث المسيحي الكاثوليكي. ولا يخفى علينا الهاجس الديمغرافي للوثيقة حيث أكّدت على أنّ عدد المسلمين تحت السيطرة العثمانيّة هو ١٠٠ مليون، والكاثوليك ١٥٠ مليونًا. كما أنّ الكاثوليك لهم البابا والعثمانيّين لهم سلطان المسلمين. كما أنّهما يتشابهان في نقطة أخيرة كثرة عدد الأجانب في الدولة، فعدد المسيحيّين مثلا تحت السيطرة العثمانيّة يبلغ أكثر من ستّة ملايين.

سعى صاحب الوثيقة إلى إبراز ضعف المملكتان مع ملاحظته بروز استفاقة سواء من المسلمين أو من المسيحيّين مع إشارته لأهميّة مواجهة أوروبا للظلم والجور الذي تمارسه إيطاليا وخاصّة الدولة العثمانيّة وإلاّ تتحوّل إلى "شريكة في هذه السيرة"، ويُساهم ذلك في منع انتشار الحريّة والتحديث. نلاحظ هنا تبنّي الكاتب بوضوح لنظريّة عبئ الرجل الأبيض الحامي للحريّة. أنتج الكاتب صور نمطيّة تحقيريّة عديدة تجاه الدولة العثمانيّة منها أنّها دولة مهترئة ومنتجة لـ "الصديد" بسبب انسداد حضاريّ تُعاني منه. ولم يُخف الكاتب ثقته في مسيحيّي الدولة العثمانيّة "فلازال دم قويّ يدور في عروقهم" عكس المسلمين، وعلى الدول الأوروبيّة أن تتدخّل قبل أن يجمد هذا "الدم"، وعليها أن تفكّهم من "أسر" العثمانيّين، أي "إخراجهم من طاعة الدولة العثمانيّة".

يُشير الكاتب هنا إلى المسيحيّين القاطنين ضمن الدولة العثمانيّة سواء في الشام أو القسطنطينية أو في البلقان. وهذا الأمر يُحيلنا إلى منطق آخر يتخلّل فكر الكاتب وهو تبنّيه نظريّة فرّق تسد أوّلا، مع المراهنة على التفرقة الدينيّة والعرقيّة، وهذا الأمر ممهّد أساسيّ للنظريّة القوميّة.

أشار صاحب الوثيقة تلميحا إلى مسألة رجل أوروبا المريض حيث أكّد على عدم فائدة "دواء مسكّن" مع العثمانيّين، وهذا ما بيّنه لنا الدراسات التاريخيّة حيث عانت الدولة العثمانيّة من الإجراءات القانونيّة والماليّة والسياسيّة الترقيعيّة بدون حلول جذريّة[1]. وهذا ما جعل الكاتب يُراهن على الحلول الجذريّة لا الوقتيّة حيث لم تهتمّ بمسألة الحريّة والتحديث والإصلاح، ولهذا استخدم الكاتب عبارة سوف تنتشر لاحقا بكثرة وهي "النازلة الشرقيّة".

سعى الكاتب إلى إبراز سبب الأزمة في الدولة العثمانيّة والعنصر الأساسيّ هو استحالة تعايش المسلمين والمسيحيّين في فضاء جغرافي واحد بسبب اختلاف مبادئهم وتاريخهم. وهذه استراتيجية أخرى مهمّة راهن عليها الكاتب وهي علاقة الماضي الحضاري باستحالة التعايش، أي حجّة تاريخيّة. وقد حاجج الكاتب بقوله أنّ المسألة ليست مرتبطة بالحريّة وإنّما بطرق تفسير الأصول، أي أنّ المعضلة جذريّة. وقد قدّم الكاتب نموذجا تفسيريّا وهو حالة المرأة حيث أشار إلى أنّها محرومة في الإسلام من الحريّة والمساواة و "الإنسانيّة التي يعرفونها النصارى". بل لا تُوجد أصلا في الدولة العثمانيّة حتّى بين الرجال أنفسهم حيث تتكوّن الدولة

من "أسياد أتراك وعبيد نصارى". وقد بيّن المؤلّف أن اعتماد الدولة العثمانيّة على عناصر أجنبيّة يُهدّد وجودها، عكس إيطاليا مثلا الرافضة لكل أجنبي خاصّة ضمن سياسيّيها وجنودها. ولهذا قال أنّ "رعايا الترك لو يصير رعيّة نصارى فإنّ عنده فايدة في هذا التبديل لأنّه يترك سنجق محمد ويتّبع سنجق الصليب" خاصّة الجنود.

كما قدّم صاحب النصّ أسبابا أخرى للأزمة العثمانيّة منها تأخّر المعارف والعلوم ممّا يمنع من إصلاح السياسة والحكم. تفتقد الدولة العثمانيّة إلى الركيزتين الأساسيّتين لانتشار العلم وهما: العائلة وخاصة المرأة المتعلّمة التي تُشرف على تعليم ابنها، والمدرسة التي تشرف عليها الدولة المُتقنة للتعليم. ينشأ الطفل في الدولة العثمانيّة من غير مبالاة بتربيته في المنزل وعندما يكبر لا يُرسل للمدرسة لتعلّم المهارة اليدويّة أو الفكريّة فلا يتعلّم سوى صيد "الفئران" مع ضمانه الترقّي الاجتماعي بسبب عائلته، مع المحافظة على فقده إن كانت عائلته فقيرة. في هذا السياق، تضطرّ الدولة العثمانيّة للاستعانة بالأجانب والمسيحيّين تحديدا وهذا ما يرسّخ الانسداد الحضاري مع عدم تمكّن هؤلاء المسيحيّين من الاندماج اجتماعيّا، أو تُجبر الدولة على فتح مكاتب للتعليم ولا يمكن لها ذلك إلاّ في المدينة لرفض سكّان الأرياف ذلك حيث يُنظر لها على أنّها حيلة غربيّة.

رجع مرّة أخرى الكاتب للتاريخ، حيث أشار إلى الفرق الجوهري بين الدّين الإسلامي والمسيحي حيث يسعى هذا الأخير إلى "التقدّم مع الزمن"، والإسلام إلى "الخراب". والأخطر أنّ الدولة العثمانيّة عندما شرعت في الإصلاح (١٨٤٠) اكتفت به لفظيّا بدون تطبيقه عمليّا، إلى جانب غياب العدل الاجتماعي وخوف الرعيّة من الظّلم وغياب "الأمان الذي هو أساس الملك" وخوف الأعيان من افتكاك حقوقهم.

أقام الكاتب مقارنة مثيرة بين الدولة العثمانية والإيطالية رغم اقتناعه بفشل إيطاليا سياسيّا أيضًا، ولكن مع تفوّقها حضاريّا. فقد بيّن أن إيطاليا تتفوّق على الدولة العثمانيّة على مستوى موروثها الحضاريّ. تتقاسم إيطاليا والدولة العثمانيّة قواسم مشتركة مهمّة، فإيطاليا تحت سيطرة النمسة ويتخلّل وجودها عدد كبير من الأجانب، إلى جانب تمزّقها بين نفوذ دول كثيرة منها فرنسا مما أخّر وحدتها. ولكن امتازت إيطاليا بتاريخها العريق وعدم ثقتها بالأجانب واعتمادها أساسا على أبنائها مثل "دانتي". كما تمتّعت إيطاليا بميزة أساسيّة وحاسمة وهي استفادتها من كل علماء أوروبا وشعوبها "المنوّرين (كذا: أي المتنوّرين)" وذلك لتشابه الدّين والثقافة والقواسم التاريخيّة المشتركة، وهذا ما لم يتوفّر لدى الدولة العثمانيّة. كما تمتّعت أوروبا بالحريّة السياسيّة النسبيّة لشعوبها وهذا الذي ساهم مثلا في انتشار الممارسات النقديّة في الشارع (الصور الحائطيّة السياسيّة في شوارع باريس مثلا).

افتقدت الدولة العثمانيّة كل الميزات التي امتازت بها إيطاليا رغم الأزمة التي عايشتها هذه الأخيرة منذ القرن السابع عشر، حسب الوثيقة. الأهم بالنسبة لإيطاليا أنّ استفادت من "العائلة" الأوروبيّة حضاريّا وسياسيّا، بل وسعوا لتخليصها من النفوذ النمساوي ومن كلّ ظلم "واقع من جنس أجنبيّ". وهذا الذي جعل "أوروبا متنوّرة". وقد اقترح كاتب المقال مشروعه الخاص بخصوص حماية إيطاليا وإنقاذ الدولة العثمانيّة، حيث أكّد على أهميّة إعطاء الاستقلال السياسي لمسيحيّي الدولة العثمانيّة وتأسيس "مملكة مستقلّة" لكلّ "السّلاف"، وهذه المملكة تكون حاجزا وجدار صدّ بين النمسا و"باقي الأوطان العثمانيّة في أوروبا". كما راهن المؤلّف على استقطاب مسيحيّي الدولة العثمانيّة أوّلا لحمايتهم من الظلم وثانيا لإرضاء النمسا حيث تستفيد منهم ديمغرافيّا وتجاريّا وخاصّة على مستوى مجالهم الأرضي.

وأيضًا إخراج لمبارديا وفينيسيا من السيطرة النمساويّة وتعويض بممالك مسيحيّة تحت السيطرة العثمانيّة. الأهم بالنسبة لأوروبا هو تجنّب الحرب الشاملة، ولهذا أكّد الكاتب على أهميّة عدم إغضاب النمسا بهذه القرارات. كما اقترح صاحب النصّ عقد "جمعيّة عموميّة" تجمع بين كل الممالك والدول الأوروبيّة، تجنّبا للحرب وسعيا لإقناع النمسا بالتخلّي عن مدنها الإيطاليّة. أكّد الكاتب ثالثا على أنّه أصبح مستحيلاً في زماننا أن يعيش عدد من الشعوب المختلفون تحت سيطرة

دولة أو مملكة واحدة، وهذا تأكيد من قبله على انتشار الفكر القومي في أوروبا. ولهذا لا يمكن تجنّب الحرب بدون إعطاء الاستقلال لهذه الشعوب، وقد استشهد المؤلّف بحادثة فصل بلجيكا عن هولندا. كما ختم الكاتب وثيقته بتأكيده على أهميّة تحديد صلاحيّات البابا في إيطاليا بعد اتّحادها، فلا يمكن الجمع بسهولة بين السلطة الدينيّة والسلطة السياسيّة.

قدّمت لنا الوثيقة مسالك مهمّة لفهم روح العصر الأوروبي سنة ١٨٥٩، حيث اعتمد أساسا على ركائز أساسيّة وهي: القوميّة أي بداية التخلّص من نظم الحكم الامبراطوريّة. والصور النمطيّة والوصوم التحقيريّة وهنا تبرز ثنائيّة شرق/غرب مع نظريّات مهمّة من قبيل عبئ الرجل الأبيض أو الانسداد الحضاري البديهي لدى المسلمين. وثالثا الوعي بأهمّية فصل الدّين عن السياسة سواء من خلال الحديث عن الدولة العثمانيّة وأسباب تأخّرها أو عبر الإشارة للبابا وعلاقته بمشروع توحيد إيطاليا.

نصّ الوثيقة

"رسالة (إيطاليا وتركيا) معربة عن الإيطالية

الحمد الله. تعريب رسالة ملقّبة بإيطاليه (كذا) وتركيا لمسيو تشيهاتشف

الباب الأوّل

لمّا سيزار باليو حبيب البطل كارلو ألبيرتو في رسالته الملقّبة برجاء إيطاليه، دبّر (كذا: اقترح) علي (كذا) على أوروبا بعتق إيطاليه من أسر دولة النمسه (كذا) ويُعوّض علي (كذا) هذه الدولة الأخيرة عمّا يضيع لها من أرض إيطاليه بأرض من المملكة العثمانيّة. فالمؤلّف المذكور كان طمعه في أمر لا يتيسّر وقوعه لكنّه من غير أن يدري أن يمسّ بعض الحوادث الغريبة الواقعة في مملكتي إيطاليه وتركيا وهو ارتباطهما بمشابهة كبيرة بينهما، وهذه المشابهة تربط وقايع (كذا) إحداهما مع وقايع الأخرى ويمسّان بعضهما بعضا. فوجود الواحدة والأخرى في دوايز (كذا) متّسعة وقابلة لامتداد العيشة الماديّة والعقليّة يجعلهما تصويرة (كذا: صورة) طياح (كذا: سقوط) العظمة الانسانيّة وكأنّهما قبرين معدّين لتخليد ذكر عزّ وفخر أيّامهما الماضية. فإذا أحد هذين القبرين يدلّ على تلك الأيّام السعيدة التي بها إيطاليه في أيّام حريّتها واستقلالها كانت مالكة أوروبا بقوّة تقصّرها وقدرتها. الآخر يذكر أقدم تواريخ الدنيا وأشرفها وإذا الأوّل يكتب على واجهته اسم السلاطين والرجال الرومانيّين الأخر حاوي تاج سلطنة بيزانسيه (كذا: بيزنطة) التي ورثت عظمة إيطاليه القديمة ويذكر اسم مدينة بابل ونينوه والقدس والأقطار المصريّه (كذا). وهذه الأسماء تدلّ على (كذا) وطن الانسان الأصليّ وميدان فخره ومولده وقبر سيّدنا عيسى (كذا). فلسبب هذه المحاسن كافّة السلاطين العظام ابتغوا فتح المملكتين المذكورتين ووقع فيهما قتال مهول ودخل في المملكتين جنوس لا يحبّون الشعوب التي وقعوا تحت نيرهم، فكما في إيطاليه المملكة العثمانيّة هي كرسي رئيس أحد الأديان الأكثر امتدادا في الدنيا، يحسبون بالتقريب عدد الكاثوليك ماية (كذا) وخمسين مليونا والمسلمين ماية مليون، وكما أنّ الكاثوليك يكرّمون في البابا خليفة رئيس الحواريّين ونايب (كذا: نائب) المذهب الروماني كذلك عند المسلمين السلطان العثماني هو نايب الخلفاء الأشراف الذين انتهت سلالتهم في فتوح مصر سنة ١٧١٥ مسيحيّه. وبهذه الكيفيّة سليم الأوّل أضاف على سلطنته العالميّة السلطنة الدينيّة التي ورثها من خلفاء محمد، فلسبب اتّحادهما في الماضي برباطات المشابهة هذه لا يقدران المملكتان المذكورتان أن يبدّلا حالتهما السياسيّة في المستقبل إلاّ ويمسّان بعضهما كما سنبيّنه بعد. ثم وجه المشابهة الأخير بين المملكتين المذكورتين هو أنّهما واقعين تحت نير جنس أجنبي ويجلبان نظر أوروبا عليهما لأنّ أوروبا ابتدت تعتبر مقدار ما يتكلّف بها من المصالح في شأن المملكتين المذكورتين ويلزمها تعرف الآن إن كانت لازالت تقدر تتفرّج من غير أن تحتسّ على ابتعاد أربعة وثلاثين مليون نصراني، إن عدد رعايا السلطان العثماني النصارى يبلغ قدره ١٨٥٠٠٠٠ ولا يدخل في هذا الحساب عدد أهل عمالتي فلاخ وبغدان والسرب الذين يبلغون خمس ملايين وحينئذ يكون عدد رعايا النصارى ثلاثة وعشرين مليون أما من خصوص عدد إيطاليه ما حسبت فيه الصاردو حينئذ يبقى منه ١٥٨٠٠٠٠ حيث أن عدد النصارى الذين تحت نير الظُلاّم الشرقيّين أو الإيطاليين

يبلغ قدره أربعة وثلاثين مليون، من خير التنور وإن كان يجب عليها أن تعتبر أنّ طول مدّة أسرهم جعله حقّ عليهم مطبوع بطابع خالقهم وأنه برهان في طولة بال الرحمة الإلهيّة التي ممكن أنّها وصلت للحدّ وأنّ الطمع في هذه الرحمة فوق هذا الحدّ يضرّ.

الباب الثاني

هذه هي المسايل (كذا) التي تخرج وحدها كل مرّة نوجّه نظرنا على إيطاليه أو على المملكة العثمانيّة، فطالما سكوت الموت كان مغطّي الأقطار المذكوره كان يقع الغرور لأوروبا، ولكن من مدّة جثّة هؤلاء المساكين التي كانت عديمة الحركة أظهرت علامات الحياة وأجسام هؤلاء الأموات قامت بالتهدّد وطلبت رتبتها بين الشعوب بصوت عالٍ، وحركة هذا القيام من الموت المتظاهرة بكل قوّة في إيطاليه امتدّت أيضًا على كبر اتّساع المملكة العثمانيّة فأنا قدرت أن أتّبع كيفيّة اتّساع هذا الحال من مدّة خمسة عشر سنة وأنا أدور (كذا: أتجوّل) في المملكة المذكورة واستدلّيت من ذلك وتيقّنت قروب الوقت الذي به قوّة السلطنة ما تعود تقدر تعصم وتُوقف ليس فقط حركة رعاياها النصارى بل أيضًا حركة جانب كبير من رعاياها المسلمين. فوقتما تحضر الساعه (كذا) ما تكون سيرة الدّول الذين أمضوا شروط حرب الموسكو في باريس (معاهدة باريس سنة ١٨٥٦ التي أنهت حرب القرم بين روسيا والدولة العثمانيّة) هل يتّبعون ما اتّفقوا عليه في شأن لزوم إسناد السلطنة ولذلك هل يعينونها في ربط هؤلاء الذين قطعوا قيودهم، أو يتعرّفون أخيرا أن اسناد استقلال تلك الدولة التي تستفيد من هذا الأمر لتُديم الأسر والجور من غير حدّ يجعل أوروبا شريكة في هذه السيرة التي تظهر أنها استحسنتها بسبب سكوتها.

ومن جهة أخرى حال إيطاليه يظهر غير متوافق مع حفظ ترتيب أوروبا الموجود الآن ومع عدم مداخلة دول أوروبا في أمور غيرهم وترتيب عدم المداخلة هذا يبطل أن يكون ضمانا لحريّة الشعوب وتقصّرهم من الوقت الذي به استعماله من غير حدّ يضيّع الفايدتين (كذا: الفائدتين) المذكورتين.

الباب الثالث

من هاتين المملكتين العظيمتين اللتان راميتين الحيرة في أوروبا، المملكة العثمانية هي التي أكثر من غيرها تطلب بسرعة مداخلة أوروبا في أمورها والمباشرة في إصلاحها، ففي المملكة العثمانيّة ليس كما في إيطاليه الكلام على جماعة متوقّفة في أمر تقصّرها (أي تحديثها) فقط بل الكلام على شعب في خطر فقط أصول العيشة (كذا: الحياة) العقليّة والسياسيّة دايما (كذا) وليس فقط الكلام على زنبلك (كذا: من المرجّح ملك) محصور بقوّة خارجيّة ويكفيه تخليصه منها ليرجع إلى حركته الأصليّة، بل الكلام على آلة مصدّدة (كذا: مهترئة) من مدّة قديمة وهذا الصديد عطّل حركتها لأنّه أكل ناعورتها. ولكن حمدا لله هاته ليست هي حالة النصارى في برّ الشرق فلازال دم قويّ يدور في عروقهم ولكن بواخ (كذا) الأسر القتّال قريب أن يجمّد هذا الدم إن لم تعجّل أوروبا وتفكّهم من هذا الهواء القتّال، فلتتيقّن إذا أن إذا كان كل جهدها الذي بذلته للآن في شأن إصلاح حالهم من غير إخراجهم من طاعة الدولة العثمانيّة ما نتج منه فايدة (كذا) هو لأنّ الدّاء الذي تظنّ أنها تقدر تداويه بدواء مسكّن لا يقبل هذا النوع من المعالجة والحال لم يزل على ما هو لأن غير ممكن تبديله حسب المرغوب. فأمتنع هنا عن ذكر الأسباب التي تثبّت قولي هذا لأنّي ذكرتها في عدّة رسالات وخصوصا في الرسالة الملقّبة بجوابات على المملكة العثمانيّة التي أوريت بمقتضى وقايع (كذا) ثابتة أن إذا كان من مدّة التراتيب التي رتّبها السلطان محمود لغاية حرب الموسكو نازلة التقصير (كذا: الإصلاح) والحريّة في المملكة العثمانيّة ما وقع فصلها ولا العمل عليها بمقتضاها. الأحوال الآن في سنة ١٨٥٩ لازالت على ما كنت عليه من مدّة عشرين سنه (كذا) بحيث أن برج الظلم هذا الحصين قام من غير أن يضرّ من النازلة الشرقيّة التي وقعت في هذه المدّة، والتي هي وحدها كانت تقدر تهدم هذا البرج. فبعد هذه المصيبة الأكبر من كافّة المصايب (كذا) التي وقعت فيها الدولة العثمانيّة ما عادت تخف من الآن وصاعد، وتقدر مدّة أجيال أخرى أن تستهزي (كذا) على رجا (كذا: رجاء) أوروبا وعلى نجمها من غير

أن أحد يصدّها. ومن جملة الملحوظات العديدة التي ذكرتها عدّة مرّات في شأن هذا الخصوص أذكر هنا تلك المتعلّقة في عدم إمكان خلط النصارى مع المسلمين وفي أنّ الدولة العثمانيّة لا توجِدُ بين المسلمين أسباب إصلاح حال بلادها، فعدم إمكان اختلاط النصارى مع المسلمين ناتج من اختلاف المبادي (كذا) الدينيّة والأدبيّة التي هي علّة ترتيب الجماعة والسياسة وهذا الاختلاف هو غريب الكيفيّة ولا مشابهة له مع الذي يُوجد في بلاد أوروبا بين رعايا مختلفة الجنس والمذاهب تحت سلطة واحدة، لأنّ في هذه البلاد الأخيرة الاختلاف واقع فقط على كيفيّة تفسير المبادي (كذا) الأصليّة المتوافقين عليها الكلّ، فبعض التراتيب والتعاليم الكنايسيّه (كذا) تفرّق بين الكاثوليك والبروتستنت والقريك ولكن هذه المنازعات تبطل عند الكلام على المبادي الأصليّة في نفسها وعلى الأداب المسيحيّه التي تربط جماعة النصارى في رباط واحد، بحيث أن يعود لهم وجهين في فحص النوازل المهمّة المتعلّقة بحريّة الانسان وهمّته. ولكن ليس هو كذلك بين المسلمين والنصارى لأنّ الاختلاف بينهما ليس هو على كيفيّة تفسير مبادي أصليّة واحدة، بل في الاعتراف بالمبادي المذكورة أو إنكارها. بحيث أن جملة مسائل أدبيّة أو متعلّقة بالجماعة مختلفة بينهما غاية الاختلاف. فلنذكر فقط مثل واحد وهو حال المرأة كما يفهمه القرآن وكما يرتّبه المسلمون، ففي ابتعادهم (كذا: إبعادهم) الامراه (كذا: المرأة) من جملة المبادئ الأدبيّة والعقليّة المكوّنة منها الجماعة المسلمون يُفسدون بالكليّة أصول المساواة الأدبيّة والشخصيّة والهمّة الانسانيّة التي يعرفونها النصارى، وهذا هو الذي يُفرّق بين النصارى والمسلمين في العيشة المنفردة وفي الخدمة ولا يتقابلان على رأي واحد إلاّ قليلا. فبعد معرفة عدم إمكان اختلاط عناصر هكذا مختلفة طبعا يُفهم بسهولة أنّ هذا الاختلاف يجعل غير ممكن مساواة الجنسين الذين هما أهل المملكة العثمانيّة بجماعة واحدة ومساواة سياسيّة ويجعلهم متكارهين، طبعا فمن الأكيد أن المملكة لا تقبل هذه المكارهة المضرّة للحكم ومن ثمّة لا يكون في المملكة العثمانيّة إلا أسياد أتراك وعبيد نصارى، فلنفحص الآن المعارف التي عند المسلمين التي بمقتضاها يقدرون على إصلاح حال بلادهم.

الباب الرابع

إن أحد الأسباب القويّة التي بوجدها لا يتبدّل ترتيب السلطنة العثمانيّة هو قلّة وجود المعارف اللازمة عند المسلمين التي بمقتضاها يمكن إصلاح حكم المملكة. فصارميّة العلم الذي هو الغنى الأصلي والقوّة الأصليّة الثابتة عند كل جماعة تتحصّل من أمرين وهما فعل الامرأة مع ولدها والدرس في دار الوالدين أو في المدارس. ففي أوّل عمره الصبيّ يتعلّم الأدب من والدته نفسها وإذا كبر الفنون والصنايع (كذا) تتكلّف بتوسيع خاصيّات عقله في تلك الصنعة التي يريد يحترف بها. فمن الأمرين المذكورين يدخل الانسان في درجة الرجوليّه (كذا) والرجال هم اللذين يكوّنون الجماعة، وفي هذه الأصول وحدها الرجال المذكورين يجدون الأسباب اللازمة لهم لتقودهم في سبيل التقصّر (كذا: التحديث) والخير والقوّة. ففي المملكة العثمانيّة لا يوجدان الأمرين المذكورين لأن أوّلا الوالدة ما تحرّك أصلا مع ولدها فترضعّه فقط وتسهر على حفظ حياته ما دام طفل، من غير أن تبالي على تأديبه وتعليمه. كما أنّها هي خالية منهما، وبعد خروجه من تحت يد والدته يتعلّم يصيد الفئران وأخيرا يدخل في الخدمة على حسب الحال متيقّنا أن مهمى كانت كلفة خدمته يقدر يحصل بسهولة على الأوصاف اللازمة له، فإن كان عسكري أو وزير أو قاضي أو يزعم أنه قادد (كذا: يستحقّ) خدمته (كذا: عمله) فقط لأنّ رؤساه (كذا: رؤساءه) أو سلطانه أدخلوه في هذا الوظيف. فهذا هو الماعون الذي عند المملكة العثمانيّة لتقوم ببلادها، فلمّا كان لا نتيجة لها الماعون ولا يفيدها شيء للخروج من الحيرة التي هي فيها وتبديل رجال دولتها لأنّها لا تقدر تعوّضهم إلا برجال آخرين من هذه الكيفيّة، يلزمها إذن أنّها تعوّضهم بالأجنبيّين أو إنّها تعلّمهم عندها بواسطة فتح مكاتب غير متوافقة مع طبايع (كذا: طبائع) أهل بلادها، وهذه المكاتب لا تُفتح إلا في التخت ولا يمكن أنّها تمتدّ في داخل العمالة لأنّ أهل الدواخل كلّهم مسلمين ولا يقبلون هذه النوّارة (كذا: الزهرة) الغريبة

المصطنعة في بيوت اسلامبول (كذا) البلاّر (كذا: البلّوريّة).

الباب الخامس

إن مشابهة مملكة نصارى مع مملكة مسلمين مشتغلتين الاثنتين في إصلاح حكمهما ووجودهما في حالة متشابهة في الترتيب الأصلي تبيّن الفرق في فعل دين النصارى في التقدّم مع الزمن وفعل الإسلام في الخراب والوقوف على حالة واحدة. فلنأخذ مثلا للاعتبار مملكة روسيا، ففي هذه المملكة التي يجب تجديد كل شيء وإبداع كل لوازمها إدخال ترتيب أحكام جديد وفتح أسباب جديدة للنجاح والغني (كذا) يقع العمل به، مع أن في المملكة العثمانيّة هذا الترتيب يقع بالقول لا بالفعل. وذلك لأن في مملكة روسيا الصارميّة العقليّة التي تقدر تحيي هذا التراتيب موجودة بالفعل ويكفي النباهة في تشغيل هذه الصارميّة حتى أنها توري (كذا: تُظهر) فعلها. ولأنّ مع قلّة موازنة الأنوار في عقول الأهالي أصول العلم الأدبيّ والعقليّ عند الانسان اتّسعت بحيث أن المملكة المذكور تقدر تختار من أهلها رجال دولة عارفين بنوع أن إذا لم تجدهم لا يكون النقص من أهل البلاد، بل من الحاكم الذي لم يعرف يختارهم أو يرغّبهم خدمته. ومن جهة أخرى في روسيا كما في باقي ممالك أوروبا مشي وتقدّم النظام يقع فيه حادث غريب لا يقع عند جماعة المسلمين حمدا للمادّة العقليّة الموجودة عند جماعة النصارى التي تولّد أمور كثيرة وتحييها، وهذا الحادث الغريب هو أنّ النظام يمشي كجري المادّة الكهربئة (كذا: الكهربائيّة) المسمّى عند الافرنج كوران الكتريك (كذا:Courant électrique التيّار الكهربائي) الذي في أوّله يكون ضعيف وفي الآخر يجد قوّة عظيمة بواسطة تحريك مواد أخرى خفيّة. مع أنّ في بلاد الإسلام هذه الشرارة تطفى عاجلا لعدم وجود ميزاب تسري فيه. ومن ثمّة عند جماعة النصارى لا يمكن حصر نظام جديد أيّ (كذا) كان في حدود لأنّ كلّما يُجدّ أمر يخلف غيره وكلّما يقع نظام جديد يطلب غيره أهمّ منه وهلمّ جرّا. فالأمر المهتمّة فيه الآن مملكة روسيا هو عتق العبيد في بلادها يمكن أن يورينا في مدّة قريبة برهان جديد في طلب أمور أخرى جديدة وغير محسوبة. وتاريخ الشعوب النصارى ملآن من هذه الشواهد، فلمّا الدولة الموسكوبيّة اهتمّت في هذا الأمر ظنّت أنّها عادلت كافّة لوازم رعيّتها في الحاضر تاركة إلى خلفائها اتّساع هذا النظام على مقتضى الأحوال. والحال على أوّل ما بدت بهذا النظام وُجدت بعض مطالب ولوازم ما كانت في بال الدولة أو كان يُظنّ لزومها في زمن بعيد وظهرت الآن كأنّها شروط لازمة لإتمام أمر عتق العبيد. فمن جملة هذه المطالب يُوجد لزوم ترتيب ديوان نوّاب الرعيّة في الدولة المسمّى عند الافرنج ريجيم ديبريزنتيف (كذا: Régime Représentatif النظام التمثيلي) وهذه هي الكيفية التي تتولّد منها هذه النازلة بسبب نازلة عتق العبيد، فلمّا الدولة حكمت للأعيان الموسكو (كذا: أعيان موسكو) بتأسير رجال كانوا أحرار بأمر صادر منها من غير أدنى شرط حسب الأعيان إن هذا الأمر ما عاد يمكن إبطاله لأنه محسوب كبقيّة العطايا التي لا تقدر الدولة تبطّلها من بعد ما تسمح بها لأنه لو تبطّله يُحسب فعلها ظلم وهذا الظلم يضرّ الملك الخاص والعالم لأنّه يفسد الأمان الذي هو أساس الملك، فينتج من هذا أن لا يمكن إبطال أوامر رسميّة كهذه من غير مساعدة والتعويض بالمال. ولما لسوء الحظ سلفاء الامبراطور الاسكندر الثاني المالك الآن ما حضّروا أموال كافية لتعويض عتق العبيد بالمال من غير أن يضرّوا أصول الحقّ ويظلموا الأعيان، من الصواب أنّ الأعيان المذكورين يطلبون بدلا عن التعويض بالمال التعويض بزيادة اتّساع حقوقهم السياسيّة. فلا يخفى الدولة أن زيادة حقوق البعض من الرعيّة يُعطّل فايدة عتق العبيد المعدّ لترتيب أصول الحريّة ومساواة الرعيّه (كذا)، وينتج من ذلك أنها لا تقدر تزيد في حقوق الأعيان إلاّ وتدّعي بقيّة الرعيّة أن تحوز هذه الحقوق. وهكذا ترتيب ديوان نوّاب الرعيّة يكون نتيجة عتقهم. وهذا هو شاهد كبير في أنّ كل أمر جديد ينبت في أرض نصرانيّة يكبر ويتّسع مع أنّ لو يُزرع في أرض اسلاميّة لا يشدّ فيها لقلّة وجود أصول الحياة (كذا: الحياة) التي لا تتكوّن إلاّ بقوّة التربية النصرانيّة الموافقة لاتّساع أصول الهمّة والعدل والحقّ.

الباب السادس

لقد أورينا (كذا: أظهرنا) بوجه التلخيص بعض الأسباب التي تمنع كل ترتيب ونظام في أحكام المملكة العثمانية وتلزم أوروبا أنها تتكلّف في إصلاح حال ملايين نصارى ملايين محكوم عليهم بالدوام على حالهم، وباقي علينا أن نبحث إن كانت هذه هي أيضًا حالة أهل تلك العمالة التي شابهناها بالمملكة العثمانيّة على جملة أوجه وهي مملكة إيطاليه، فلنسرع بالقول إن في هذه النازلة المشابهة لا تقع بين عمالتين إلا في لزوم مداخلة أوروبا في نازلتهما لتخرج أهلهما من الحالة الكئيبة الموجودين فيها[٢]. وهنا تقف المشابهة لأنّه لا يجي لبال أحد أن يضع في درجة واحدة حال رعايا الدولة العثمانيّة النصارى وحال رعايا الدولة النمساويّة الإيطاليانيّة لأنّ هذه المشابهة مخالفة الحقّ. ولكن لا ننسى أنّ عند الشعوب كما عند الأشخاص مقدار التأثير لا يُقاس على نوع الأمور التي تفعل هذا التأثير، بل على مقدار حاسيّة هؤلاء المفعول بهم التأثير المذكور. بحيث أن الشعب الذي يكون عنده مقدار من التقصّر (كذا: التحديث) وعنده ذكر بلاده في الزمن السابق[٣]، يحتسّ (كذا: يحسّ) كثيرا من الإهانات العقليّة بمقدار ما يحتسّ الشعب الجاهل المستأسر من العذابات الماديّة والامتناعات الحسيّة، والإيطالياني ابن القرن التاسع عشر الذي عرّاه الأجنبي من جنسيّته والذي حكم عليه سلطانه ابن جنسه أن يدوم في حالة الطفوليّة العقليّة يحتسّ من هذه الأمور بمقدار ما يحتسّ النصراني الذي من مدّة خمسة أجيال للآن مازال حاني رأسه في التراب تحت أقدام سيّده المسلم، مع أنّ الإيطالياني المذكور حايز بكلّ أمان على كافّة النعم والخيرات الحسيّة المحروم منها النصراني رعيّة المسلم. فإذا كان النصراني المذكور يطلب قبل غيره إعانة الدول النصرانيّة ليس لأنّ أوجاعه أشدّ من أوجاع غيره، بل لأن يقتضي لمداواة جراحات انتباه كثير وزمن كبير. ولأن قبل كل شيء يلزم وضع الإنسان في الشروط اللازمة لوجوده، فإذا اعتبرنا حال إيطاليه الحاضر على هذا الوجه المتعلّق بها نقدر ننسب لها تلك الكلمة الشهيرة المنسوبة للدولة العثمانيّة التي قالها الامبراطور نيكولا في شأن المريض الذي يُحيّر أطبّاه وخصوصا لأن وقع على إيطاليه كما على وقع على الدولة العثمانيّة كنسولتات (كذا: Consultation استشارة) عديدة وشهيرة التي بها صار البحث على حال المريض وعُطيت له أدوية زادت مرضه. فما نتج من جمعيّة تروبّو (كذا: مدية تروبو Troppau في النمسا) سنة ١٨٢٠[٤]، وجمعيّة ليباق (كذا: ليباخ Laibach مدينة في سلوفينيا) سنة ١٨٢١[٥]، وجمعيّة فيرونه سنة ١٨٢٢[٦]، إلا أنّ نوّاب دول أوروبا اهتمّوا في نتيجة اضطراب (كذا: ثورة) أهل إيطاليه ولمّا عرفوا أنّ هذا الدّاء (كذا: الثورة) يمتدّ إلى غير أجسام اجتهدوا أن يكتموه من غير أن يبحثوا على الأسباب التي اتّلد (كذا: وُلد) منها. فظنّوا أن إيطالية هي كمريض موجوع بسخانة ويهتري (كذا: أي يهذي) ودواه العصا والكرّاكه (كذا: أي السجن) ولكن ليس هو هذا دواها، لو وقع البحث على تاريخ أهلها فلا توجد في الدنيا مملكة دخل فيها البرّاني أكثر من مملكة إيطاليه ولكن لم يقدر يمكث فيها قطّ. ومن وقت دخول البربر في روما سنة ٤٧٦ مسيحيّه (كذا) ركبت على إيطاليه القوت (كذا: قبيلة القوط Visigoth) واللمبر (كذا: قبائل اللومبارد Lombards) والعرب والنرمان (كذا: قبائل النورمان Normans) وسلاطين فرانسا (كذا) وسبانيا (كذا: إسبانيا) وأليمانيه (كذا: ألمانيا) فالبعض طُردوا منها بفعل الرعيّه (كذا) والبعض ملكوا فيها بقوّة سفك الدماء وملكهم كان يتخلخل بقومات (كذا: ثورات) الشعب. وفي مدّة الفتوحات والقومات هذه الطويلة كانت أيّام السعد والتنوير وأيّام الحزن والظلام في إيطاليه فلا شكّ أن أيّامها السعيدة كانت تلك التي كانت فيها حاكمة في نفسها، وأيّامها التعيسة كانت تلك التي وُجدت فيها تحت حُكم البرّاني (كذا: الأجنبي). ففي الجيل الرابع عشر والخامس عشر ظهر في إيطاليه هؤلاء الرجال الشهيرين والعلماء البارعين الذين ابتدوا مع دانتي وانتهوا مع طاسّوا، مع أن أوروبا كلّها في تلك الأيّام كانت في حالة البربريّة، ولكن هذه المصابح المنوّرة ما شعلت إلا من نار الحريّة والتقصّر الذي كان موجود في أيّام استقلال إيطاليه، وهذه الأرض الخصبة صارت عاقرة من وقت دخول النسور النمسويّة فيها. فلا ينكر أيضًا أن كثيرين من العلماء الذي وُلدوا في أيّام حريّة وطنهم كانوا

لم يزالوا أحياء في وقت دخول بلادهم تحت نير شرل كين وفيليب الثاني وكانوا باقيين عاملين الفخر لبلادهم. ولكن كما قال بالصواب السنيور سيسموندو سيسموندي هؤلاء الملوك حصدوا الغلّة التي زرعوها سلفائهم ولم يزرعوا هم أيضًا. ولما كانت الحصيدة الانسانيّة لا تأتي إلا بعد خمسين سنه (كذا) بعد هذه المدّة كل بلاد التي ملكوا فيها صارت عاقرة. فكانوا يغرّموا أهلها غرامات كبيرة ويوزّعوها عليهم من غير ترتيب ومن ثمّه المتجر فسد والأراضي وُجدت من غير زرع وأهاليها هاربين، وكانوا يعطوا باحات كبيرة إلى بعض حكّام يستغنوا بواسطتها من مال الرعيّة. وهذه الأسباب جعلت الشعب يحقرهم ويبغض هذه السيرة الظالمة والسلاطين النمساويّين المذكورين كانوا يحسبوا التنوّر العقلي تلطية عليهم فمنعوا الرعيّة من الكتابة ومن المباحثة والمنازعة في مصالح عامّة ولكي يعسّوا بأكثر حرس عليها أدخلوا في بلادهم المجلس الديني المسمّى عندهم أنكيزيسيون (Inquisition) وجعلوه حارس صادق على تنفيذ جورهم. فهذا كان حال إيطاليه في نصف القرن السابع عشر، وتلك المدّة أيضًا كانت المدّة الحزينة في العلم عندهم والإيطاليان سمّوها قرن السايشنتيستي أعني قرن علماء السنة الستماية بعد الألف، وهذا هو تاريخ تمكين سلطة ملوك النمسه في إيطاليه، والأعجب هو أنّ تاريخ طياح العلم في إيطاليه كان تاريخ وصوله في فرانسا (كذا) إلى أعلى درجة من الكمال تحت سلطنة لويس الرابع عشر، وهذا يدلّ على أنّ مرّات كثيرة علوّ درجة العلم عند الانسان لا يتحصّل فقط في مدّة حريّة الأحكام بل أيضًا في وقت عدم وجود هذه الحريّة يتحصّل في مدّة اتّساع العقل في محبّة الجنس وسطوته السياسيّة، لأن جيل أوتوستو وجيل لويس الرابع عشر ما كان فيهم حريّة زايدة بل زيادة فخر ومجد في الشعب الفرنسيس، ولكن باقي ثابت أن بمقدار ما كنت قوّة النمسه تمحي رويدا رويدا إيطاليه من زمان الشعوب المستقلّة علمها كان يطيح بأسرع درجة مع أن خرجت في أوقات قليلة بعض شرارات من وسط هذا الرماد الحيّ الذي نفس الظلم والجور ما قدر أن يطفيه بالكليّة. وهكذا القرن ١٨ وُلد فروقوني ومتستازيو ومافّاي وكلدوني وألفياري وغيرهم من العلماء الشهيرين المتفرّقين. ولكن هؤلاء ما كانوا إلا بعض لوحات منفردين عايمين (كذا: سابحين) بغاية الصعوبة في وسط الأمواج التي غرق فيها شقف وطنهم، وهذا حادث محزن بالنسبة للهيئة التي وُجدت فيها أوروبا في القرن الثامن عشر الذي هو الوقت الأفخر ما يكون في التاريخ لأنّه هو الذي أوجدنا في هذا الحال الذي نحن فيه الآن، فنقدر نقول من غير مبالغة أن في وسط حركة القيام العظيمة التي وقعت في أواخر القرن الثامن عشر واتّلد (وُلد) منها فوايد القرن التاسع عشر إيطاليه بقيت ساكنه وما قدّمت سواء انجم منفردة إلى هذه الصورة الباهية العظيمة المكوّنة من انجم متنوّعة التي يُذكر منها نيوتن وفولتير وروسو ودالمبير وبوفون وغيرهم وذلك لأنّ إيطاليه كانت في حالة يُرثى لها في تلك المدّة وهذا ما يحكيه عليها السنيور سيسموندي. إن المدارس العظيمة التي كانت سابقة ما عاد يدخل فيها إلاّ من يريد يتعلّم الفقه والطبّ واللاهوت ليربحوا عيشهم فقط وكانوا يحسبون زمن ضايع ذلك الذي يُعدّوه في درس علوم لا تردّهم أئمّة أو أطبّا(ء) أو قضاة والمكاتب الخصوصيّة التي كانت مفتوحة بعدد كبير في القرن الخامس عشر وخرج منها علماء كثيرين قُفلت وما عاد إلاّ مكاتب الرهبان الذين ما كانوا يقصدوا التعليم، بل يحصروا العقل ويعلّموا حصر الإرادة والصمت، والمخادعة، والخوف، والطاعة. والحاصل الطايفة كانت ميّتة على كل وجه. هل قامت بعد من هذا الموت فليسألونها في فينيسيه وميلانو وروما ونابولي وباليرمو وجوابها يكون مديحة حزينة طويلة تكمّل مديحة القرن الثامن عشر الموافقة لحال إيطاليه في هذه الأيّام، بحيث أنها تقدر الآن تصدر تلك الأبيات الجليلة التي ألّفها السناتور الفيورنتينوفيليكايا سنة ١٦٨٣ أعني من مدّة مايتين سنه وهي: يا إيطاليه يا إيطاليه أنتي التي المكتوب هدي لك جمال تعيس ومعه مقدار كبير من الأحزان مسطّرين على جبهتك ليتك بالجمال أقلّ أو بالقوّة أكبر حتّى تخافين بزيادة أو تحبّين أقلّ من هؤلاء الذين ظاهرين كأنّهم مشعوفين بحبّ جمالك، ومع هذا يطلبونك للقتال من غير رحمة حينئذ ما أعود أراك متحزّمة بسيف ماهو لك (كذا: أي ليس لك) وتقاتلين على ذمّة الشعوب الأجنبيّة لتكوني غالبة أو مغلوبة من غير فايدة لك. فدع

محبّي الأحوال الحاضرة يستهزئون على هذه الأحوال ويعتبرونها أنها اختراعات شعراء ودعهم أنّهم يحسبون أنّ ما فيها أدنى مناسبة مع الأحوال الحاضرة، ولكن إيطاليه تجاوبهم فاتحة لهم تاريخها وتُورّيهم (كذا: أي تُبرز لهم) من هو الذي أوقفها بغتة في طريق العلم والتقصّر (كذا: التحديث) وكيف وقع ذلك في الوقت الذي به كانت تظهر أن يوم ما تكون رئيسة على شعوب أوروبا المنوّرين. ولا يجب أننا ننسى أن إذا من حين نهاية القرن السابع عشر الذي هو تاريخ تمكين النمسه في إيطاليه هذه البلاد ما عادت اشتركت مع بقيّة الجماعة الأوروبيّة في التقدّم. فبالعكس في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر الذين هم أحسن أيّام استقلال جنسها كانت متقدّمة بالعلم بهذا المقدار حتّى أن أغلب الاختراعات العظيمة والاكتشافات الكبيرة التي هي فخر أيّامنا هذه كانت محسوبة عاد(ة) للعلماء الإيطاليان في تلك المدّة وبادي العمل بها وضعوها زرع لنا في كتبهم الذين نسيناهم ولا اعتبرناهم، فماذا كان يُرجى في العلم من شعب الذي في ثلاثماية سنة فقط طلّع وعرف ما اكتسبته مدّتنا هذه بعد ستماية سنه مصروفين بالخدمة والشقا(ء). فهذا كلّه نسوه محبّي الأحوال الحاضرة الذين يتجاسرون أن يعزّوا إيطاليه بموارد مطروقة محسوبة من حال الراحة الماديّة الموجودة فيها إيطاليه التي تحت النمسه، فمن يقول للمبرديّه لماذا تتشكّين أما عندك أراضي مزروعة وأنت حاصلة على خير الراحة والأمان، يفكّرنا في تلك التصاور التي كانت تُلسّق (كذا) على حيوط باريس مُصوّر فيها عساكر ريبوبليكة (République française) فرانسا الأولى عرايا وميّتين بالجوع، يوريون إلى ضبّاطهم ساقيهم الحفايا وشكايرهم الفارغين من الخبز وضابطهم يجاوبهم لماذا تتشكّون من حالكم أما اكتسبتم فخر النصر ومال الشعوب الذين سوف تفتحون بلادهم، أما هو لكم وهذه التعزيات الحقيرة المقدّمة دايما للإيطاليين تتغيّر كيفيّتها وتصير قساوة مكرّكة وقتما تكون صادرة من الفرنسيس الذي هو الشعب الأكثر غيّور على استقلال جنسه، فليوضع هذا الجنس تحت الإنكليز أو تحت النمسه ونرى حينئذ كيف يقبل ذاك السيّد الذي يتجاسر أنّ يقول له أن وجود الفرنسيس تحت سلطة أجنبيّة لا يمنعهم أن يطيّبوا طبيخهم ويزرعوا غلّتهم فبأيّ وجه أذن الفرنسيس يتجاسر أن يغرّي الإيطاليان الذي هو أخاه الأقدم منه بالحريّة والتقصير (كذا: تحديث) بتلك التعزيات التي هو نفسه يحسبها أنها نقص في عرضه أو يريد يخبرنا أنه يفعل هذا للمداراة، ولكيلا بقيّة الطوايف الذي تحت نير جنس أجنبي يطمعون ويطلبون هو أيضًا استقلالهم، وهذا ممّار يرمي اضطراب كبير في الدنيا. ولكن هنا أيضًا التاريخ يتكلّف بالجواب لأنّه يبيّن أن من جملة الشعوب الذين فقدوا استقلالهم لا يوجد واحد منهم الذي سوابقه يشابهون سوابق الإيطاليان ولا يوجد واحد منهم الذي يكون أبقي في الدنيا آثار كآثار الإيطاليان وغيابه أبقى فضاء كبير لا يتعوّض.

الباب السابع

إنّ الشرح الوزير الذي شرحناه على الأحوال التي اتّسع فيها التقصير في إيطاليه يدلّ على أنّ بمقدار ما نزيد في درس تاريخ البلاد المذكوره بمقدار ذلك يجب أن يزيد يقيننا أن الظلم إذا كان واقع من جنس أجنبيّ خصوصا يكفي لتعطيل تقدّم نور العقل وليس لتطييع الشعب الذي تحت النير. وهذا مما يرتّب على أوروبا ضربين: الأوّل هو أنها تجد أحد أعضاء فاميليتها (كذا: عائلتها) محكوم عليه أن يتعذّب من غير سبب، والثاني أو يُوجد في وسطها محلّ الاضطراب والحيرة فالظاهر اذن أن حضر الوقت الذي به يجب إبطال هذا الحال غير المتوافق مع الأصول التي تعترف بها أوروبا المتنوّرة، ومع اعتبار راحتها وأمانها، ولكن تجديد إيطالية والمملكة العثمانيّة تقع فيه ضرورة تقع فيه ضرورة موانع جسيمة وعديدة كما يقع في كافّة التقليبات السياسيّة الكبيرة التي فوايدها متعارضة. ولمّا كان لا بدّ من فصل هذه النازلة على أيّ وجه كان لأنّها من تلك النوازل التي تكبر بطول المدّة من الواضح أنّ من جملة الطرايق التي توصّل للمقصود الطريقة الأقلّ شدّة هي الأحسن. كما أنّ من جملة كيفيّات الجراحات اللازمة لحفظ الانسان الطبيب العاقل يستعمل الكيفيّة الأقلّ وجع ولو لم تكن الأسرع في قضي الحاجة. فإذن الكيفيّة التي تظهر أوفق على هذه الصورة هي أن نعطي عمالتي فلاخ وبغدان للنمسه

عوض عمالتي لمبارديا وفينيسيه وترتيب مملكة مستقلّة من الجنس المسمّى سلاف مكوّنة من السرب والبلغار والأرناؤوط والأرزوقويين والكروات والبشناق، هذا هو عدد كل من أهالي الأوطان المذكورة: ١٠٠٠٤٠٠ السّرب، ٢٨١٨ البلغار، ١٠٠٠٠٠٠الأرناؤوط، ١٥٠٠٠٠٠ البشناق والكروات وأهل الأرزقويين بحيث أن مملكة السلاف المذكورة تكون مكوّنة من ستّ ملايين رعيّه. وهذه المملكة تكون حاجز بين النمسه وباقي الأوطان العثمانية في أوروبا، وهي الطرس والروملي وطساليه وجزر الأرشيبيلقوا التي تبقى وقتيّا تحت السلطة العثمانيّة ويلزم أن في وقت دخول النمسه في حوز عمالتي فلاخ وبغدان لا يعود لها رجا(ء) أن تتسع أكثر. ولذلك هذه مملكة السلاف تكون واقفة بصورة تنبيه على النمسه وعلامة لخلاص بقية النصارى الذين تحت السلطنة العثمانية في أوروبا، فمن غير شكّ تعويض عمالتي لمبارديا وفينيسيه بعمالتي فلاخ وبغدان لا يعجب النمسه ولا أهل هاتين العمالتين الأخيرتين، ولكن أيّ كانت العوايق من هذه الجهة تكون أخفّ من تلك التي تتلد لو يُراد طرد النمسه من إيطاليه بالقوّة من غير من عوض لأن هذا وجه يرمي أوروبا في عرك كبير لا يقدر أحد يقول ما تكون نهايته مع أن العساكر التي تريد تخلّص إيطاليه تكون قويّة بالرجا(ء) لداعي المبادي السياسيّة التي هي ماشية في تنفيذها، وهذا الرجاء يزيد في قوّتها الماديّة أضعاف الأضعاف. ولكن لا يجب احتقار قوّة العدوّ فتكون بلا شكّ مكوّنة من قوّة اليمانيه كلّها، إنّ بموجب الأخبار الأخيرة جيش ممالك اليمانيّه المتعاهده يتكوّن في زمن الصلح من ٦٤٥٩٧٨ عسكري مفرّقين هكذا: ٤٥٨٢١٥ تريس و٧٩٠٣٠ خيّاله و٥٩١٧٢ طبجيّة و١١٩١٣ مهندسين و١٢٩١ من الأتاماجور و٩١٣٢٧ غير محاربين. فدولة النمسه تعطي ١٩٨٣٤٤ منهم ودولة بروسيا ١٧٦٠٤٧ والباقي على بقيّة ممالك اليمانيّة. ويمكن تتّحد معها قوّة إنكلترا ولا مداخلة لروسيا في هذه الحرب لأنّها تقدر تنفع إيطاليه بقلّة دخولها أفضل من اتّحادها في القتال[٧]، فمهمى كان الأمر وقبل أن يلزم فتح حرب في أوروبا الأفضل أن يقع استعمال كافّة الوسايط اللطيفة وأحد هذه الوسايط الصايبة هي عقد جمعيّة عموميّة مركّبة من نوّاب كافّة الممالك النصرانيّة كبار وصغار من كافّة أقطار الدنيا، فيمكن أن يكون لهذه الجمعيّة الشهيّة العظيمة سعد لتنال من دولة النمسه هذا التسليم الذي يُطلب منها بحقّ التقصير (كذا: التحديث) وراحة الدنيا مفكّرينها عند اللزوم أنّ هذا الأمر ما فيه جور ولا نقص في الهمّة ولا هو أمر جديد، بل بالخلاف مسنود على وقايع نظيرة سابقة تدلّ على أنّ أوروبا رأت أنّ شعوب تحت سلطنة واحدة ماعادوا يقدروا يعيشوا سويّة من غير أن يفسدوا الرّاحة العامّة ويحزنوا العالم بقتالهم الغير مفيد، حكمت بفرقتهم حالا من غير تعويض ولو وقعت معارضة لكانت عانتهم بالقوّة، فلهذا السبب صار افراق (كذا: فصل وتفريق) بلجيكا من أولانده (كذا: هولندا) والموره من الترك غير مباليه لشروط فيينا التي أفسدتها دولة النمسه بواسطة إدخال كراكوفيا تحت سلطنتها، وغير مبالية لقدامة (كذا: قِدم) وجود البلاد المذكورة...ولو أنّ القدامة هي حقّ في طلب الدوام تحت النير وليس حقّ للإخراج لكانت الدولة العثمانيّة أحقّ في طلب دوام الموره تحت نيرها، مع أنّ قلّة الاتّفاق من مدّة طويلة هي نفسها التي تُبرهن في وجوب الافتراق[٨]، فلنذكر هنا أنّ التسليم في عمالتي فلاخ وبغدان ضدّ ما وعدوهم به هو أمر يستحقّ للأسف ولكن لمّا اقتضى الأمر أن يقع الاختيار بين الحكم على عدم تحرير الإيطاليان أو أهل عمالتي فلاه وبغدان لا بدّ من أنّ الميزان يرجع من جهة الإيطاليان خصوصا إذا وقع الاعتبار أن وجود أهالي عمالتي فلاخ وبغدان تحت النمسة لا ينتج منه تلك الأخطار والأضرار التي تنتج دايما من سلطة النمسه على الإيطاليين وذلك من بابين: الأوّل هو أن بالنسبة لمركز لبلاد والجنس والأخلاق أهل عمالتي فلاخ وبغدان المسمّيين روميّين يقتربون أكثر من الإيطاليان إلى بعض من الجنوس الأجنبيّة العديدة المكوّنة منها المملكة النمسويّة والروملييين المذكورين كالسلاف هم أقرب للاختلاط مع الجنوس المذكورة والسلطنة النمساويّة لا تبغضهم ولا تخف منهم كونها تُنصّب في وظايف السلطنة رعاياها الكروات والأليريان والدالمات مع أنّها قط لم تقدر توظّف الإيطاليان. والباب الثاني ينتج من سوابق الجنسين المذكورين فالإيطاليان هم الأكبر بين أولاد أوروبا وأقدمهم بالشريعة والتقصير والتنوير والحريّة ولذلك لا تنسى قطّ ماضيها. وهذا

الفكر لا يجعلها قطّ تحمل نير الأجنبي أيّ كان مع أنّ الروماليّين الذين هم من مدّة أربعماية وأكثر تحت نير الترك وظلمهم وذلّهم لا يكون لهم سواء رجا(ء) ضعيف وليس عندهم فكر الماضي الذي يبعد الهنا(ء) في الحاضر. فأهل فينيسيا أو ميلانو الأوجه إذا وُضعوا تحت حكم أجنبي مهمى يفعل معهم لا بدّ من لا بدّ من أن تطيح همّتهم مع أنّ أحد رعايا الترك لو يصير رعيّة نصارى فإنّ عنده فايدة في هذا التبديل لأنّه يترك سنجق محمد ويتّبع سنجق الصليب، كهؤلاء العساكر الأقدمين الذين كانوا يؤخذوا اسراء (كذا: أسرى) لبلاد الشرق، وهناك أسيادكم الجدد كانوا يعطوهم أهم الوظايف وهم كانوا يفرحوا في الرجوع لوطنهم، وكانوا ينزعوا حالا كسبات الباشاوية ويفرحوا بلبس طاسة عسكر النصارى فمهمى كان الأمر الروماليين إذا تركوا رجا(ء) استقلالهم السياسي الباطل واتّحدوا مع اخوتهم النصارى وصاروا رعايا النمسه تصير لهم الفايدة في المتاجرة في واد التونه العظيم ليس مع أخصام بل مع اخوة. وهذا الواد يصير تحت سنجق واحد ويخلص من تلك المشاكل التي يسبّبها القويّ لجاره الضعيف والحجّة الأخيرة الثابتة التي في الاختيار بين تحرير الإيطاليان والروماليين تُميّل الميزان نحو الإيطاليان هي أن لو يقع الافتراض أن صار التسليم في الروماليين لأجل خلاص (أي انقاذ) الإيطاليان يجب الاعتبار أن الروماليين هم أربع ملايين فقط مع أن الإيطاليان هم ستة عشر مليون لأن افتكاك عمالتي اللمباردیا وفينيسيه من النمسه يحيي بقيّة إيطاليه كما سنبيّنه، والكثير يغلب القليل.

الباب الثامن

أن لمّا يصير تحرير عمالتي اللمباردیا وفينيسيه من نير النمسه واجب على أوروبا ضرورة تعترف أنّ كافّة الأسباب التي عطّلت للآن امتداد العقل عند الشعوب الإيطاليانيّة يجب أنها تبطل بالكليّة لأن ما تعرّف به أنّه حقّ في جانب من إيطاليه لازم تُعرّف به في باقي ممالك إيطاليه وتضع نفسها في مناقضة كبيرة لو تظنّ أنّها أتمّت خدمتها بسبب تخليص اللمبرديا وفينيسيا من السلطة الأجنبيّة كأن تتبدّل صورة الجور ويتبدّل فعله بواسطة تبديل الجاير (كذا: الحاصل)، فلا يمكن لأوروبا أنها تمدّ يد المعونة لأهل لمبرديا وبسيفها تدخّل الرومان في حبسهم. فلو يصدر منها ذلك كأنّها لم تفعل خير وتجعل إيطالية تشكّك في نيّتها ولا ترى في هذه المداخلة المغرضة إلا حركات خفيّة لتسهيل طمع البعض من دولها كما جرى فيها عدّة أمرار، فأوروبا لا تقدر تفصل نازلة إيطاليه إلاّ أن أشهدت حتما أنّها تريد تخلّص كل من كان معطّل على التقدّم في التنوير، وكل من كان مظلوم في إيطاليه، فلا شكّ أن هذا الخلاص يجد تعطيل كبير في عمالة روما. وهذا التعطيل لا يُغلب لأنّه يمسّ مسائل دقيّة متعلّقة بالدّين، وأوروبا تخشى أنّ في مسّها ما هو باطل في أحكام روما تمسّ المبدي الديني الذي هو موضع احترامها، ولهذا السبب كرسي البابا يظهر كأنّه سخر (كذا: حجر) كبير يتكسّر عليه كل جهد أوروبا في إصلاح الأحوال وكيفيّة الحكم الروماني مناقضة لهذا الإصلاح وهو لعمري أمر مضحك ونقص في حقّ العقل وفي حق همّة كرسي روما أن يطلب من البابا أن يجمع بين حريّة مباحثة الرعيّة في مصالحها وبين الطاعة الكليّة المطلوبة منها له، وأنه يضع أعماله تحت نظرها مع إبقاء رئيسها المعصوم من الخطاء (كذا)، وهذه مناقضة وحشيّة يُراد تلطيفها بواسطة فرق الحكم الشرعي من الحكم السياسي من غير أن يمكن التبيين ما هي متعلّقات الحكم الأول وما هي متعلّقات الحكم الثاني، فهذه هي حجرة الشكّ التي يعثر بها جهد الدول لأجل ترتيب الأحكام على كيفيّة الحرية في إيطالية، بحيث أن إمكان أو عدم امكان وقوع هذا الترتيب ينتج كلّه من حكم الجمعيّة العموميّة المذكورة سابقا، في تبيين مقدار وكيفيّة إضرار فوايد الكاثوليك بسبب رفع الحكم السياسي من يد البابا، فمن غير أن يتجاسر ونُجاوب على هذه المسألة يمكنّا فقط نقول أن إذا وقع البحث على هذه النازلة لا بدّ من الوقوف على هذه الملحوظات وهي أنّ كافّة الذين سكنوا في إيطالية وعرفوها يعرفون بالتحقيق أن أغلب رأي الإيطاليان هو بهذا المقدار غير قابل كيفيّة حكم البابا، حتّى أن لو فصل هذه النازلة يكون متعلّق بعدد آراء الإيطاليان لا شكّ أن أغلبهم يطلبون تبطيل الحكم السياسي من يد البابا، ويكون مطلب معتبر كونه رأي ثمانية عشر مليون كاثوليك. ومن جهة أخرى يمكن أن رأي بقيّة دول أوروبا الكاثوليك يكون

مخالف لهذا، فهل هو حقّ والحالة هذه أنّ هذه الكيفيّة الحكميّة التي لا يريدونها الإيطاليان يُغصبون بإبقائها في بلادهم لأنها مفيدة لبقيّة الدول الغير إيطاليان وليس هو أعدل أنّ الذين يرومون الفايدة يتكلّفون أيضًا بالخسارة فحينئذ أن كانت الدول المذكورة تعرف أنها لا تقدر تدبّر أمورها الدينيّة كالدول البروتستنت، أليس من الصواب إخراج كرسي البابا من إيطالية كونه حمل باطل في البلاد المذكورة حتّى ولو يُراد تلطيف هذا الحمل بواسطة إبقاء البابا في روما كسلطان شرعي وترتيب حكم سياسي في عمالته مستقلّ منه، وهذا يكون سبب اضطرابات وخصايم شتّى ينتهون بسقوط هذه السلطنة الخياليّة فإذا يُراد حفظ البابا على أيّ وجه كان لا يمكن ذلك في إيطاليا وعلى هذا الحال وبالنسبة للسوابق يمكن التفكّر في مدينة أفينيون التي نُقل فيها كرسي البابا في القرن الرابع عشر، ودام فيها مدّة ثمانية وستّين سنه من غير أن يُنتج أدنى ضرر لإيطاليين ولا للكاثوليك على وجه العموم. فمتى عمالة البابا خصلت من هذا العطل يمكن جعلها مملكة مستقلّة ويُعطى لها ملكا أحد أمراء فاميليات ملوك إيطالية والأصوب أن يكون ملكها من فاميلية (كذا: عائلة) الصّاردو لأنها إيطاليانيّه محض. ومن ثمة تقدر أوروبا تطمئن من جهته ومن غير شكّ أن من جملة ما يتوجّب على المملكة الرومانيّة الجديدة يُشرط عليها أم تتكلّف بمصروف البابا كبقيّة الدول الكاثوليكيّة، وعلى هذا الحال كافّة التعطيلات التي تمنع ترتيب أحوال إيطالية تبطل ويمكن أن تبقى تعطيلات صغيرة صادرة من بعض معارضات"[٩].

خَاتِمَةٌ

في ضوء ما تقدّم، يتبيّن أنّ الوثيقة التي حرّرها تشيهاتشاف سنة ١٨٥٩ لا تُعدّ مجرّد شهادة سياسية ظرفية، بل هي نصّ يكشف عن ملامح أساسية في الفكر الأوروبي تجاه الدولة العثمانية وإيطاليا في القرن التاسع عشر. فقد عكست الوثيقة ثلاث ركائز محورية: بروز النزعة القومية كبديل عن الإمبراطوريات، وتكريس الصور النمطية التحقيرية تجاه الشرق الإسلامي، ثمّ إبراز أهمية الفصل بين الدين والسياسة في السياقات الأوروبية.

تُبرز هذه النتائج أنّ الدولة العثمانية وُصفت في المخيال الأوروبي باعتبارها «الرجل المريض» الذي يفتقد مقومات الإصلاح والتجديد، مقابل تصوير إيطاليا بوصفها الوريث الحضاري الأجدر بالدعم الأوروبي. وتكشف الوثيقة كذلك عن أنّ الوعي الأوروبي في تلك المرحلة كان مسكوناً بهاجس إعادة تشكيل التوازنات السياسية على أسس دينية وعرقية، وهو ما ساهم في ترسيخ الانقسام بين الشرق والغرب.

إنّ القيمة العلمية لهذه الدراسة تكمن في إبراز دور النصوص السياسية الأوروبية في تشكيل الرؤية السائدة حول «المسألة الشرقية»، كما تمنح الباحثين فرصة لمقارنة الخطاب الأوروبي حول العثمانيين بما كُتب عن غيرهم من القوى غير الأوروبية. ومن هنا، يمكن القول إنّ إعادة قراءة هذه الوثيقة تسهم في إثراء فهمنا للتفاعلات الفكرية والسياسية في أوروبا القرن التاسع عشر، وتفتح آفاقًا لدراسات لاحقة تُعنى بتقاطع الخطاب السياسي مع السياقات الحضارية والدينية.

الملاحق

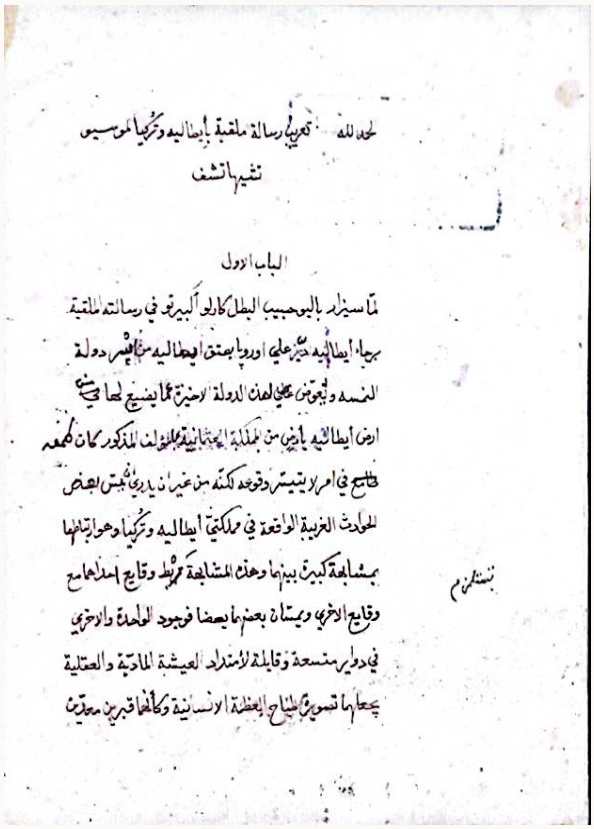

الصفحة الأولى والثانية من المخطوط

الإحالات المرجعية:

(1) Renée Worringer, "Sick Man of Europe" or "Japan of the near East"?: Constructing Ottoman Modernity in the Hamidian and Young Turk Eras", International Journal of Middle East Studies Vol. 36, No. 2 (May, 2004), pp. 207-230

(٢) نظريّة عبئ الرجل الأبيض بطريقة أخرى

(٣) الذاكرة والشرعيّة التاريخيّة

(٤) مؤتمر تروبّو، عقده التحالف الخماسي (روسيا، النمسا، بروسيا وبريطانيا بداية من سنة ١٨١٨ وفرنسا) للتداول حول أساليب قمع الثورة في نابولي، وعُقد بناء على طلب قيصر روسيا ألكسندر الأوّل.

(٥) عُقد مؤتمر ليباخ بين قوى التحالف المقدّس (روسيا، بروسيا والنمسا) لمناقشة احتلال نابولي وإجهاض الثورة النابوليونيّة)

(٦) عُقد المؤتمر بمدينة فيرونا الإيطاليّة بين التحالف الخماسي (روسيا، بروسيا، النمسا، فرنسا، بريطانيا) واسبانيا وصقليّة ونابولي والهدف مناقشة أزمة الثورة الاسبانيّة.

(٧) إذا وقع حرب بين فرانسا والصاردو وعلى النمسه دولة روسيا تعرف ما يجب عليها أن تفعله سواء كان بسبب مركز سلطنتها أو بسبب ما وقع في حرب الكرم (كذا: القرم) فحالها الحاضر لا يسمح لها أن تدخل الآن في الحرب وجرحها لم يزل محلول، إلاّ إذا كانت ملزومة لذلك في وجود فايدة أكثر جوهريّة وأوضح من فايدة المحاربة لإصلاح حال إيطاليه مع أنها هي نفسها مهتمّة في إصلاح حال سلطنتها. فإن لم تجد التأكيد أنها تقدر تحصل على فايدة واضحة وأكيدة لا تقدر تسير إلا كما سارت دولة النمسه في حرب الكرم لو وقعى حرب بين فرانسا والنمسا. فإذا سارت على مقتضى سيرة النمسه فإنها تستفيد هي وتفيد معاهديها فتقدر من غير أن تطيّح نقطه من دمّها تأكّد النصر لفرانسا وإيطاليه بواسطة وضع عساكرها على طول حدادة (كذا: الحدود) النمسه وهكذا تقدر تنال الفايدة التي نالتها دولة النمسه بظواهر المحبّة بحيث أنه إذا كانت دولة النمسه تحب انكسار الموسكو....

(٨) ...توجد أمثال من هذا النوع لها معنى كبير وهي وجود عمالتي الألساس واللّورين تحت فرانسا وعمالات شطوط بحر البلتيق تحت روسيا...

(٩) **رسالة (إيطاليا وتركيا) معربة عن الإيطالية**، دار الكتب الوطنيّة، تونس، (مخطوط)، الرقم: ١٧٩٩٩